

ثقافة

تاريخ العدد 2010/09/29 العدد 11704

«الكوميديا الإلهية» معرضاً لشذى شرف الدين
بُراق الماضي.. ومعراج الفن

احمد بزون

«الكوميديا الإلهية» هو العنوان الذي اختارته شذى شرف الدين لمعرضها، الذي تقيمه في غاليري «أجيال» لغاية 13 تشرين الأول. وقد استعارت هذا العنوان من ملحمة دانتي الشهيرة، التي تتقاطع أعمالها معها بأكثر من نقطة؛ فهي تستعيد هنا تجربة دانتي في استخدام موضوع المعراج، الذي ترمز إليه بالبراق المنتشر في أكثر من لوحة، مثلما تستفيد منه كعمل مقارن، كون دانتي استفاد في قصيدته الطويلة من قصة الإسراء والمعراج، التي اجتهد مفسرون كثير في تصويرها ووصفها ومناقشتها. وإذا كان دانتي استفاد من التراث الإسلامي في «الكوميديا»، فإن شذى، في معرضها، راحت أيضاً إلى استحضار التراث، تراث المنمنمات، والاشتغال عليه في صيغة تقاطعت بها معه.

المهم أننا لسنا أمام معرض تقليدي تقدمه فنانة تشكيلية معروفة، ولسنا أمام لوحة تقليدية مشغولة بمواد لونية مائية أو زيتية، بل أمام تجربة جديدة في معرض أول مختلف لشذى، قوامه لوحات مشغولة على الكمبيوتر، من دون أن يعني ذلك لوحة ملونة بواسطة برنامج التلوين المعروف، بل هي لوحة قوام الشغل فيها هو التركيب، وقوام المادة المستخدمة صور للوحات وصور فوتوغرافية، أما البقية فتتمثل بالدور الذي لعبته شرف الدين في إنتاج لوحة فنية تشكيلية مطبوعة على ورق خاص ملصق على سطح ألومنيوم.

لوحة مطبوعة

هي لوحة مطبوعة إذاً، علّقت الفنانة نسخة واحدة من كل منها، وقد رأينا 27 عملاً على جدران الصالة. فأول ما نتطلع ننتبه إلى وجود منمنمات شرقية قديمة، تقتحمها صورة فوتوغرافية لامرأة أو رجل، وفي الغالب امرأة يظهر نصفها فوق جسد حصان، ولو توقف الأمر عند هذا الحد لتذكرنا الأسطورة اليونانية التي تتحدث عن مخلوق نصفه إنسان ونصفه الآخر حصان، كان يدعى قنطور، إلا أن الحصان هنا أبيض وله جناحان، ما يأخذنا إلى صورة البراق الذي حمل الرسول محمد إلى المسجد الأقصى، كما حمل الأنبياء من قبل.

إنه البراق إذاً، الذي تتردد صورته في الكثير من لوحات المعرض. البراق الجميل المزين بأجمل الحليّ والزخارف. البراق الذي يتوسط عدداً من المنمنمات، التي استحضرتها الفنانة من التراث الهندي والفارسي والمغولي والباكستاني، وإلى ما هنالك من دول اشتهرت فيها المنمنمة الإسلامية والعربية. هي اختارت منمنمات جميلة ومتألقة وجليّة، اشتغلت فيها تفكيراً وجمعاً، بحيث وضعنا أحياناً أمام ثلاثة مستويات، عمق مأخوذ من لوحة، ثم شخصيات مأخوذة من أخرى، ثم في الواجهة براق، أو مخلوق طوطمي، بالإضافة إلى الإنسان، نصفه من الطيور.

ما هو مهم أن شذى تضعنا أولاً أمام تألق تاريخ المنمنمة، كأنها تنقل إلينا دهشتها بها أولاً، ثم تضعنا أمام تكثيف جمالياتها من خلال الجمع والتركيب ثانياً، ثم أمام اختراق المساحة التراثية بصورة فوتوغرافية النقطنها الفنانة بنفسها ثالثاً. هي تقاب تاريخ المنمنمة، وتنتقي بتأن نماذج منها، فتقدم تصميماً جديداً، مادته تراث المنمنمة البصري، بكل منعطفاته وقصصه وزخارفه، فاللوحات تسلط الضوء أيضاً على واقع العمل النممي، بأساطيره وطيوره وطبيعته ناسه، حيث تبرز ملاحظة مهمة تركز عليها، وهي ذلك الازدواج في وجوه وأشكال ناس المنمنمة، إذ في كثير من الأحيان يلتبس إنسان اللوحة بين ذكر وأنثى، وهذا ما أظهرته شذى في بعض اللوحات التي يتزياً فيها رجل بزي امرأة.

مونتاج أزمنة

اختراق الماضي بوجه من الحاضر يضعنا أمام سؤال المقارنة أيضاً، أو أمام نوع من الفن المقارن ربما، بل إن حضور وجه امرأة مزينة بمساحيق العصر الجديد، منقحة الشفاه، تشبه إلى حد بعيد مطربات الفيديو كليبات الراقصة، يأخذنا أحياناً إلى السخرية، خصوصاً إذا تذكرنا أنها جزء من البراق المزين حمل آخر مثله الرسول والأنبياء من قبل، وشان بين معراج ومعراج.

ما نريد أن نقوله أن شذى شرف الدين لا تستعرض هنا قدرات الرسم أو التصوير اللوني، ولا تطرح نفسها منافسة في ميدان اللوحة التقليدية، بل تقدم أعمالاً فنية تركز على فكرة، وتجيب فيها عن سؤال أو أسئلة، تتعلق بطبيعة المنمنمة وطبيعتها ناسها وأساطيرها. هي هنا تلعب دور الباحثة قبل الفنانة، وإن كانت كذلك، فنحن لا نستهيّن بلعبة المونتاج الموفقة التي أخرجتها، وقد حوّلت التراث إلى مسرح يخترقه الحاضر حيناً، أو هي استعانت بعظمة التراث ودهشتها به لتستخف بقيم الحاضر حيناً آخر.

بل هي تقدم لنا معراجاً فنياً تحرق بواسطته ليس المسافة بين المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، بل قصور التراث إلى صالونات الحاضر